أُسلوبُ اللُّغَةِ

معنى الأسلوب وأنواعه ، الأسلوب فى الجاهلية

الأسلوب فى الإسلام

معنى الأسلوب وأنواعه

تقرأ الموضوع من الموضوعات لكاتب من الكتاب ، فى القديم والحديث ، فيبهرك حسنه ، وتفتنك روعته ، وتشعر بالهزة ملكتك ، والأريحية هجمت عليك ، فتعاود قراءته فيزداد هذا الأثر وضوحًا عندك ، وفعلاً فى نفسك ، فتقول هذا أسلوب قوى واضح . وجزل أخّاذ !

وتقرأ لآخر قطعة أدبية أو قصيدة شعرية ، ثم تنظر ، ماذا أفدت منها ، وما الأثر الذى تركته فى نفسك ؟ فلا تراك أمسكت منها إلا ما يمسك القابض على الماء ، فتعاود قراءتها مرة وأخرى ، فلا يزيدها التكرار إلا غموضًا وإبهامًا فترمى بها فى ألم وأنت تقول : إنه لأسلوب معقد غامض .

فماذا تريد من كلمة « أسلوب » ؟

لا ريب أنك أردت أن الأول أخذ المعنى الذى أراده ، وحاول أن يدل عليه ، فتخير له صورة لفظية ، وقدر له هيئة تركيبية ثم وضعه فى

تلك الصورة وهذه الهيئة كما يقدر الثوب على جسم لابسه ، لا يكون فضفاضاً يسبح فيه ، ولا ضيقاً يضيق به . فلم يكن المعنى فى جوانب النفس أخفى منه فى منافذ الحس لأن طريقه لاحب وسبيله مستقيمة . . .

وأن الثانى . لم يتخير لمعناه طريقاً واضحاً . فلم يرتب ألفاظه فى الذكر على حسب ترتبها فى الفكر ، ولم يراع المناسب فيثبته ، والمعادى فينفيه . فكد وكدر ، ومنع السامع من الفهم إلا بعد أن يستعين عليه بقرائن بعيدة وشواهد كثيرة . حتى إن فهم شيئاً منه لا يكون مؤلفه هو الذى مهد لفهمه ، وكل ماله من فضل أنه وجّه إلى المعنى ففهم ولكن من جهة غير جهته وطريق غير طريقه !

الأسلوب إذن ، هو الصورة اللفظية التى تكون طريقاً إلى تأدية المعنى إلى النفس .

وهو أنواع ثلاثة : أسلوب خطابى ؛ وآخر أدبى ، وثالث علمى منطقى ، وهذه كلمة قصيرة عن كل :

الأسلوب الخطابى :

نسب إلى الخطابة لأنه فيها أظهر وبها أولى وأجدر حتى لا يحسن إلا فيها ، ولا يستحسن إلا منها ، فهو بها نار مشبوبة ، يستثير الحفائظ فى النفوس ؛ أو غيث منهل يستل السخائم من الصدور ، وهى به أعظم خطراً ، وأبعد أثراً ، وأنفذ إلى أعماق النفوس تستولى عليها ، وتحبب الردى

إليها ، حتى ينقلب الجبان أسداً ، والشحيح حاتماً والحريص على الحياة أزهد الناس فى الحياة !

ويظهر امتيازه على أخويه بقوة المعنى والمبالغة فى تصويره والتهويل لشأنه . وبتخير ألفاظه جزلة تملأ الفم ، وتقرع السمع وتهز القلب ، ثم بصياغة هذه الألفاظ على وجه يعطيها زفيف الريح الحبيسة ، ثم بذكر الأسماء التى تهيج العواطف وتثير المشاعر ، وبتكرير الفقرات التى تلهب الإحساس ، وبذكر المترادفات التى تزيد المعنى وضوحاً .

ولأمر ما ، كان من عادة العرب أن يخطبوا من قيام وعلى شرف من الأرض معتمدين على قوس أو قناة ، ولأمر ما ، استحسنوا من الخطيب رباطة الجأش وجهارة الصوت .

الأسلوب الأدبى :

من مميزات هذا الأسلوب ، رقة ألفاظه ، ومناسبة كل لفظة لأخواتها حتى تكون أشبه شىء بالدرر المنظومة فى السلك ، لا تقع العين منها على لفظة قلقة فى مكانها ، نابية عن أترابها ، فلا بد من تخير الألفاظ على وجه تخف به نطقاً فى اللسان ووقعاً على السمع وأن يقرن بكل شكل شكله ويعطى لكل إلف إلفه ، حتى تعود كالماء سلاسة ، والنسيم لطفاً !

ولعلّه أشد الأساليب حاجة إلى درس البلاغة وتذوقها من ممارسة كلام الفصحاء ، إذ ليس به غنى عن تشبيه دقيق يصور خيالاً رائعاً

ويرد النفوس عن معرفة الشيء من طريق الفكرة إلى معرفته عن طريق الفطرة ، وعن استعارة وقعت موقعها، وأصابت غرضها ، وعن حسن تعليل لم يخطئ موضعاً من الصواب ومكاناً فى الحس . . . وما إلى ذلك مما تكشف عنه العلوم البلاغية .

ولست أعنى أن حسنه رهن بكثرة الاستعارات والتشبيهات حتى لا يكون جميلاً إلا إذا ملكت هذه قياده وصرفت زمامه ، فقد يكون الإكثار من ذلك داعية كراهة وسبب ضعف ومعرض ذم ؛ واعتبر ذلك فى هذه الرسالة ينسبونها إلى ورّاق ، قال وقد ضاقت به سبل العيش ومذاهبه :

« عيشى أضيق من محبرة ، وجسمى أدق من مسطرة ، وجاهى أرق من الزجاج ، وحظى أخفى من شق القلم ، وبدنى أضعف من قصبة ، وطعامى أمر من العفص ، وشرابى أشد سواداً من الحبر ، وسوء الحال ألزم لى من الصمغ » !

فإنك سترَاها ثقيلة على السمع ، ممضّة للنفس ، لا يسيغها إلا من عرف البلاغة قواعد جافة ، فيراها حيث الجناس هنا والتشبيه ها هنا ، والاستعارة هناك ، لا يمد نظره إلى أن لهذه أسباباً تقتضيها ، ومواضع لا تصلح إلا فيها !

والخلاصة أن هذا الأسلوب هو الذى تتجلى فيه المقدرة وتظهر البراعة فهو محك القرائح ، ومخبر الأذهان ، وأن مدار الأمر فيه على القريحة

الصافية ، والطبيعة المواتية ، وأن أظهر مميزاته تخير الكلمات ذات الجرس الحسن والنغمة العذبة ، والجنوح إلى الخيال الرائع ، والوضوح فى المعانى التى يقصد الكشف عنها والدلالة عليها .

الأسلوب العلمى المنطقى :

هو أهدأ الأساليب ، وأخفها مئونة ، وأبعدها عن التعمل وأدناها إلى الإحسان ، فهو أسلوب يعمد فيه إلى إيضاح الحقائق من أيسر السبل وأقربها ، ليس فيه خيال شعرى ، لأن الخيال إنما يدعى لإشباع عاطفة وتغذية وجدان ، وهذا إنما تخاطب به العقول وتناجى به الأفكار ، وليس فيه استعارات ولا مجازات ولا كنايات ، ولا يحسن فيه تشبيه يجنح إلى دقة ويحوج إلى فضل تأمل ولطف نظر وإعمال روية ، وإنما توضع فيه التشبيهات لمجرد قياس مجهول بمعلوم ، أعنى أنه لا توضع فيه إلا التشبيهات الساذجة التى تشترك فى جنس ظاهر واضح — وكان ذلك لأن المقصود بهذا الأسلوب أن تَضِح المعلومات التى قصد به إيضاحها ، ومما يزاحم هذا الغرض ويعتدى على تلك الغاية أن يكون الطريق الذى يراد منه الكشف عن شىء وإيضاحه ، محتاجاً هو نفسه إلى كشف وإيضاح .

ولست أريد أنه خال من الجمال على نحو ما نرى فى كتب المتأخرين التى تكد الذهن وتقتل الخيال ، حتى إن من نشأ عليها لا يحسن تحبير رسالة ، ولا يجيد تصوير منظر !

وإنما أريد أن له جمالاً خاصًّا ، يظهر واضحًا فى المنطق منبثًّا فى تضاعيفه ، وفى تخير كلماته بعيدة عن الاشتراك واضحة الدلالة على معانيها ، وفى تأليف ذلك فى سهولة وجلاء ، وفى القرب به من أخويه : الخطابى والأدبى ، فى حدوده المرسومة .

الأُسلوبُ الْجَاهِلِىّ

ليس أمامى قول غير الذى قدمته . من أن العرب لم يكن لهم علم بالمعنى الذى تدل عليه كلمة علم ؛ لأن العلم أبداً ظل للحضارة والمدنية . وكل ما كان عندهم إنما هو معرفة بالأنساب والأنواء وشىء من الطب وشىء من الأخبار ، وهذه لا تسمى علومًا ، لأن من شرط العلم ، البحوث المنظمة والقواعد الثابتة . ومن الميسور بعد ذلك الحكم بخلو اللغة الجاهلية من الأسلوب العلمى .

ومما يساعد على الاقتناع بهذا الحكم ، أن هذا الأسلوب ، كما رأينا يعتمد المنطق كثيراً للإقناع بالحقائق التى يقررها ، وذلك يستتبع استخدام العقل حتى تحصل له قوة الحكم والتعليل . ونحن إذا اعتبرنا ذلك فى العرب قبل الإسلام ، رأينا فيهم ضعف التعليل إلى حد بعيد . ورأينا العاطفة أغلب عليهم ، يمرض أحدهم فيوصف له الدواء فيتقبله لأن القبيلة أقرته وأخذت به ؛ ويلدغ فيرى أن تعليق الحلى عليه يبرئه من علته ؛ ويكلَب فيستقى دم الشريف لأن ذلك يشفيه ، وتتخطى المقاليتُ الشرفاءَ

ليعيش أولادهن ، ويقذفون أسنان الإثغار فى عين الشمس لتبدلها بما هو خير منها ! ويقتلون أولادهم خشية الفقر ! ويئدون بناتهم خوف العار ! ... هذه العقائد وأمثالها فى الأمة العربية تدل على أنهم لم يستخدموا كثيراً عقولهم ، ولم يستعينوا بالمنطق الصحيح على تعليل ما يدور حولهم ويظهر فى بيئتهم . وليس لنا أن نقول : إن هذه الأوابد كانت تلزم الطبقة الدنيا منهم لا الخاصة فيهم ؛ وعقائد سواد الشعب لا تنهض دليلا على انحطاطه وضعف التفكير فيه ، واختفاء المنطق منه ، لأن الشعب المصرى مثلا تفشو فيه الخرافات بشكل أوسع وأدعى إلى السخرية والإغراق فى الضحك . ومع ذلك لا يمكن أن يزعم زاعم أن المستوى الفكرى فيه منحط ؛ لأن فيه علماء . منطقيًا وتفكيراً . . .

أقول : ليس لقائل أن يقول ذلك ، لأن تلك الأوابد كان يدين بها الشعراء أنفسهم وقد سجلوها فى شعرهم ، وهم أرقى طبقة فى الأمة العربية أو من أرقى الطبقات فيها .

فى سيرة ابن هشام . أن الطفيل الدوسىّ قدم مكة ورسول الله بها ، فحذره رجال من قريش سماعَه حتى لا يتأثر بقوله ، قال الطفيل : فما زالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئًا ، ثم قلت : واثكل أمى ! والله إنى رجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح ، فما يمنعنى أن أسمع هذا الرجل ؛ فإن كان ما يأتى به حسنًا قبلته ؛ وإن كان قبيحًا تركته !

ويقول الأزهرى :

« الشعر : القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها ، والجمع أشعار ، وقائله شاعر ، لأنه يشعر ما لا يشعر غيره أى يعلم » .

هذه ومثلها تدل على أن الشعراء كانوا من الرقى العقلى بحيث يمتازون عن سواد الشعب العربى ، وقد رأيت أنهم كانوا يأخذون بهذه الأوهام والخرافات كما كان يأخذ غيرهم . لا يمدون أبصارهم إلى الفحص والتفكير فيها !

وإذا كان الأمر كذلك ، كان الشعب الجاهلى ضعيف التعليل بعيداً عن استخدام المنطق ، واللغة مظهر لعقليات الأمة فلا ريب لا يكون فى اللغة الجاهلية الأسلوب العلمى المنطقى ، أو على الأقل لا يكون ظاهراً ظهور غيره فيها ، لأنه يتنافى مع أسلوب حياتها .

وإذن فالذى كان فى لغة الجاهليين هو الأسلوب الخطابى والأدبى ، فأى هذين كان أظهر فيها وأغلب عليها ؟

يبدو لى أن الأسلوب الخطابى كان فيها أظهر وعليها أغلب لأنه أقرب إلى الطبائع العربية الثائرة وأخلق بنوع الحياة التى كانوا يحيونها . ولأن الأسلوب الأدبى بحاجة إلى الروية والتدبر ، وأنه أشد ارتباطاً بحياة الحضارة التى ترهف الحس وترقق الوجدان ، والعربى الجاهلى جاف الطبع ميال إلى الثورة والصخب ، يستلهم البديهة الحاضرة لا الروية المفكرة .

واعتبر ذلك فى خطبهم ومفاخراتهم ومنافراتهم ، تراه ظاهراً كثيراً لأن

هذه الأمور كانت تستعمل لإثارة العواطف وإلهاب الوجدانات ، وكذلك شعرهم لأنهم لم يقصدوا فيه إلى الجمال الفنى ، فلم يصفوا الخمر كما وصفها أبو نواس مثلاً ، وإنما كان وصفهم لها يدور حول الفخر بالجود والإيثار ؛ ولم يتغزلوا فى المرأة كما تغزل فيها المحدثون يقصدون الإجادة الفنية أكثر مما يقصدون إلى تجلية شعور صادق — إنما كان غزل أولئك مظهراً من مظاهر الفخر كثيراً . وهذا باب واسع يحتاج إلى بحث خاص .

ويمكن أن يقال على سبيل الإجمال :

كانت الأخلاق الحربية هى الأخلاق السائدة فى الجزيرة العربية ؛ والأسلوب الخطابى بهذه الأخلاق أجدر ، وإليها أقرب !

الأُسلوبُ الإسلامى

رأيتَ أن اللغة الجاهلية كانت تشتمل على الأسلوب الخطابى والأسلوب الأدبى فحسب ، وأن الأول كان أظهر فيها وأغلب عليها ، وأنها ظلت كذلك حتى جاء القرآن فأفاض عليها ما لا شك فى أن البيان أعجز من أن يخرق إليه ستراً ، فيظهره فى الصورة التى يريد له أن يظهر فيها ، لأن ذلك شىء يخضع للذوق المدرك أكثر مما يخضع للبيان الواصف .

جاء القرآن على أسلوب لم يعرفه العرب لمتكلم قبله . توخَّى فيه

اعتبارات لا تخضع لحصر ، ولا تستجيب لرائد ، من تقديم وتأخير ، وتعريف وتنكير ، وحذف وإثبات ، وفصل ووصل . . . إلى غير ذلك مما يسميه البلاغيون مقتضى الحال . وكان أظهر شيء فيه الإقناع بالقضايا العقلية المنطقية ، ولفت النظر إلى ملكوت السموات والأرض ، وقص القصص على أشكال مختلفة : فى إيجاز طوراً ، وإطناب تارة ، وتوسط أخرى ؛ وضرب الأمثال ، وقاس الغائب على الشاهد ؛ وكانت فيه معان جديدة وأغراض جديدة فلا بد أن تكون فيه مجازات واستعارات وكنايات لم يعرفها العرب ، ولا بد أن يكون ما عرفوه من ذلك قد نظم وتصرف فيه على وجه آخر غير الذى ألفوه ، حتى قويت دهشتهم ، وازداد تعجبهم من أنهم يرون ألفاظاً هى عين ألفاظهم . ثم لا يجدون فى أنفسهم من الشجاعة ما يتقدم بهم إلى معارضته وقد تحداهم تحدياً صارخاً فعجزوا أمامه عجزاً ذليلاً مستكيناً !

وما أحسب أنى أردت المقارنة بين أسلوبه وأساليبهم . فذلك هو الإعجاز ، ملأ اليأس من تجليته والوصول إلى أسراره أكُفَّ محاوليه ، وإن وصلوا منه إلى ما يشبه السراب الخادع يحسبه الظمآن ماء . حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً !

ولكنى أردت أن أتلمس هذه الأساليب الثلاثة فيه . أو — بعبارة أدق — ما تشبهه هذه الأساليب بحيث يمكن أن يقال : هذا يكاد يجرى فى طريقه الأسلوب الخطابى ، وذاك يوشك أن يدنو منه الأسلوب الأدبى ،

وذلك يستطيع أن يسير فى طريقه الأسلوب العلمى ؛ وأنا أعلم أن هذه جراءة يبيحها لى ما أباح للمتكلمين أن يرتفعوا فى بحوثهم إلى ملأ أعلى ، وعالم أسمى !

قلت : إن القرآن نزل فى أسلوب لم يضارعه أسلوب قبله وقد كان هذا الأسلوب أحيانًا يشتد عليهم فيقرعهم ويملأ قلوبهم رعبًا ورهبة ، وأحيانًا يلين حتى يريهم الماء فى سلاسته والنسيم فى رقته ولطفه ، وأحيانًا يهدأ . ليدع لهم فرصة يتعلمون فيها منه أصول الدين ومكارم الأخلاق . والذى يتدبر القرآن الكريم يرى هذه الظواهر الثلاثة ظاهرة فيه .

وقد أستطيع أن أقول : إن الأسلوب الخطابى يظهر فى المواضع التى يناظر فيها الجاحدين ، والتى يصف فيها أهوال اليوم الآخر وما يتصل بذلك مما يستدعى شدة الروعة وقوة التأثير .

وأن الأسلوب الأدبى يظهر فى هذا القصص الرائع والوصف البديع والإرشاد الرحيم .

وأن الأسلوب العلمى يتجلّى حيث يراد شرح الحقائق العلمية والامتنان على العباد ، وتوجيه نظرهم إلى نعم الله عليهم .

وأنا لا أدّعى أن مميزات هذه الأساليب الثلاثة تظهر فيه على وجه ضابط شامل حتى يكون ذلك بمثابة القانون .

ومن السهل الميسور الوصول إلى أمثلة لذلك ، فلا نقول فيه شيئًا ، ولكن الذى نريد أن نقوله ، هو أنه من غير المعقول أن يمر العرب بهذه

الأساليب الثلاثة التى تحدث النفس والعقل معًا وتستخدم المنطق والعلم جميعًا ، إلا كما تمر نسمات الفجر بأزاهير الرياض ، يمتزج بها ما فيها من شذًى وأريج — فقد رأيناهم قرءوه وأكثروا ترداده ، يصلون به ويتعبدون بتلاوته ، وطال درسهم له وتفهمهم إياه ، واستنبطوا منه أحكام الدين ، وتأدبوا بعباراته وأمثاله وإيجازه ، وتشبيهه ومجازه ، واستشهدوا به واقتبسوا منه وتلذذوا بتلاوته .

فلا جرم ينشأ عن كل ذلك ، اطمئنان إليه ، وميل إلى محاكاة أساليبه فى التحدث والكتابة ، وفى الشعر والخطابة — وهو قد ناظر طوائف شتى ، فردَّ على النصرانية واليهودية ، وأفحم الوثنية ، وحجَّ الطبيعيين ، ووجه الأنظار إلى التأمل فى هذه الكائنات البديعة ؛ وسلك فى كل ذلك مسلكًا يكتنفه المنطق ويحوطه الإقناع ؛ فكان لذلك كله أثر قوى فى توجيه النفوس وجهة منطقية ظهر أثرها فى الأدب الإسلامى بجميع مظاهره . والذى يستعرض خطب الخطباء قبل الإسلام وبعده ، يرى فى كلام الجاهلية ، إثارةً للمشاعر ، ومعانى على الجملة تبقى فى النفس ما بقى اللفظ فى السمع ، فلا يرتفع وقع هذا إلا ليزول أثر ذاك ؛ على حين يرى فى كلام الإسلاميين حججًا دامغة ، وبراهين صادعة . ونتائج لا تكاد تجد النفس بدًّا منها ، ولا محيصًا عنها . — بل إن الشعر نفسه — وهو أبعد شىء عن حجة ودليل — قد تأثر بعضه بذلك ، فكان موطنًا للحجة والدليل ، يقول الجاحظ : ما فتح للشيعة باب الحجاج

بالشعر إلا الكميت بقوله :

فإن هى لم تصلح لحى سواهم فإن ذوى القربى أحق وأوجب
يقولون : لم يورث ، ولولا تراثه لقد شركت فيه بكيل وأرحب !

وإذا كان الشعر ، وهو لا يُعرف إلا سلاحًا لعاطفة ، ولسانًا لوجدان ، يتجه اتجاهًا منطقيًا عن طريق القرآن ، فغيره ، مما عُرف مستقىً لعقل ودائرة لتفكير ، أكثر اتجاهًا إلى ذلك وأعظم تأثراً .

ولو أنى رحت أضرب المثل وأتتبع المقارنات ، لأكثرت فى غير حاجة ملحة ، فحسبى ما قلت ، وأن أقول : إن هذا الأسلوب الذى يعتمد العلم والمنطق حدث فى اللغة من طريق القرآن الكريم .

وكما أحدث القرآن هذا الأسلوب إحداثًا ، اتجه بالأساليب التى كانت معروفة وجهة جديدة زادتها كثرة وجمالاً ، يظهر ذلك فى المجازات والكنايات ، والتشبيهات البديعة التى جاء بها .

وقد كنت أشرت إلى أنه جاء بأغراض جديدة وتعاليم كذلك . اقتضت معانى جديدة ، فلا بد أن تكون صورتها التركيبية على الأقل مما لم يعرفه العرب ، واعتبر ذلك بمثل قوله سبحانه :

« اللهُ نُورُ السَّمَواتِ وَالْأَرْضِ ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فى زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ ولا غَرْبِيَّةٍ يكادُ زيتُها يضِيءُ ولو لم

تمسَسْهُ نَارٌ ، نورٌ على نورٍ . . . »

وقوله جل شأْنه :

« مَثَلُ ما يُنْفِقُون فى هَذِه الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ ريحٍ فِيهَا صِرٌّ ، أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فأَهْلَكَتْهُ . . . »

وغير هذا كثير ، لا يطمع القلم فى الإحاطة به .

ويظهر ذلك أيضًا فى الكتب والرسائل التى كانت تصدر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن خلفائه ؛ كما يظهر فيما جدَّ من تعبيرات وأساليب جديدة ، كقوله عليه السلام : « الآن حمى الوطيس » ، « مات حتف أنفه » ، « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ، « إياكم وخضراءَ الدمن » ، . . . إلى غير ذلك مما يروى صاحب المزهر أنه لم يسمع من أحد قبله عليه السلام ، ونحن ، وإن كنا لا نشك فى أنه صلى الله عليه وسلم بلغ الغاية فى الفصاحة لأنه نبت من قريش وهم أفصح العرب واسترضع فى بنى سعد وهم من الفصاحة بمكان ؛ إلا أن ذلك لا يمنع من أن يظاهر القرآن الوراثة والبيئة ؛ بل إنى لا أشك فى أن للقرآن الأثر الأكبر فى فصاحته ، فلولاه لكانت فصاحته عليه السلام فى حدود بيئته ، فلا نسمع منه هذه المعانى الإسلامية فى تلك الأساليب القرآنية .

كذلك ، من أثر القرآن ، موت الأساليب الكاهنية ، حتى لم يعد لهذا السجع الثقيل أثر يذكر ، وذلك لأنه حارب الكهانة ، وسفَّه أحلام

الحافلين بها والمحتكمين إليها ، فضعف الكهان ثم اختفوا ، ولأنه قد بهرهم بأسلوبه فاستخفوا كل الأساليب بالإضافة إليه ، وكان الأسلوب الكهانى أولى بأن تشمئز منه نفوسهم لما فيه من ثقل طبيعى لا يسيغ الذوق العربى سماعه إلا لضرورة ملجئة .

هذا ، وقد دفع بالعرب إلى حياة متحضرة كان لها أثر فى الأسلوب من ناحية تلك الحلى اللفظية التى استفاضت آخر العصر العباسىّ وكثرت كثرة عظيمة . ولئن كان القرآن قد جاء بشىء من ذلك ، فلم يكن ظاهراً ظهوراً يسترعى الأنظار ، ولكن الحياة المتحضرة التى جعلتهم يتأنقون فى كل شىء ، جعلتهم يتأنقون فى أساليبهم أيضًا . وقد كان من أثر هذه الحضارة أن اتسعت دائرة الأسلوب الأدبىّ بحدوث النثر الفنى واستعماله فى أكثر أغراض الشعر .

هذا ، وقد دونت العلوم الكثيرة شرعية ولغوية . وعقلية ، مترجمة ومستحدثة ، ولهذه العلوم أساليب كثيرة ومتمايزة ، للفقيه أسلوب ، وللغوى أسلوب ، وللأديب أسلوب . وهكذا . . . ولا ريب أن هذا يكسب اللغة من الأساليب الفنية ثروة واسعة لم تكن تعرفها من قبل .

والله سبحانه وتعالى أعلم

وبعد . فهذا ما أردت أن أزاحم به خدَمَة القرآن الكريم . وأستبق معهم فى ظله مكانـًا ؛ فإن كنت قد وفقت فيما أردت ، ووفيت ما قصدت . فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ؛ وإن تكن الأخرى ، فالخيرَ أردت ، والجهد بذلت .

وحسبى الله ونعم الوكيل .

أحمد حسن الباقورى

القاهرة ، فى العشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وثلثمائة وألف من الهجرة النبوية .

obeikandl.com

رقم الإيداع		١٩٨٧ / ١٥٣٢
الترقيم الدولى	١-١٩٢٣-٠٢-٩٧٧	ISBN

١ / ٨٦ / ٢٧٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)